الجمعية الثيوصوفية

(جمعية الحكمة الإلهية)

الحكمة الإلهية (الثيوصوفية)

ثيوصوفي هي كلمة إغريقية - فثيوس تعني اله وصوفي تعني حكمة. والثيوصوفية أو الحكمة الإلهية تعني معرفة أسرار الخلق والتدبير والتطور في كل العوالم، ابتداءً من الذرة الأصلية، مرورا بكل إشكال الحياة والكائنات والبشر، وانتهاءً بالمجموعة الشمسية؛ التي تشكل بدورها ذرة في منظومة كونية اكبر. وتوصف هذه المعرفة بأنها ممكنة التحصيل بالتجربة المباشرة، وذلك من خلال الارتقاء بوعينا إلى مستوى الذات - الجزء الروحي من طبيعتنا، ثم الاتحاد مع جوهرنا؛ مما يقودنا إلى إدراك الحقائق العميقة، والمشاركة في إدارة شؤون المخطط الإلهي ضمن حدود قدراتنا. إنَّ الحكمة الإلهية هي جذر وأساس كل أديان وفلسفات وعلوم ومعارف العالم، ويتم دراستها وممارسة أسرارها وتعليمها للآخرين من قِبل نُخبة صغيرة من العارفين؛ وقد أُطلق عليها أيضا أسماء مثل العقيدة السرية والتراث الباطني. وتعاليمها محفوظة بعناية، حيث يقوم كل جيل جديد من الحكماء بتعلمُّها من الجيل السابق وإتقان أسرارها كي يصبحوا أوصياء عليها وعلى الجنس البشري وبقية أنواع الكائنات وإشكال الحياة.

وقد أصبحت الكلمة مُتداولة عند الإغريق في القرن الثالث الميلادي مع الفيلسوف امونيوس ساكاس وجماعة أفلوطين في الإسكندرية؛ الذين نشروا نظرية الفيض الإلهي؛ والتي تكشف أن الكون بأكمله، وكذلك البشر وكل الكائنات الأخرى، إنما صَدَرت من الذات الإلهية. كما أُطلق لقب الثيوصوفي كذلك على المتصوفة في الفترات اللاحقة مثل ايكهارت وبوهمة [وهما من المتصوفة الألمان في القرن الخامس عشر]، وكذلك باراسيليوس. وفي عام ١٨٧٥ تم تبنيها من قِبل السيدة بلافاتسكي عند تأسيس جمعية الحكمة الإلهية (الجمعية الثيوصوفية) كاسم للصيغة الحديثة التي تدعو إليها من الحكمة الأزلية. وهذه الحكمة "كانت دائما واحدة، وهي الفيصل في المعرفة الإنسانية، لذا تم حفظها بعناية. وقد سبقت بعصور طويلة ثيوصوفيي الإسكندرية، ثُمَّ بلغت العصر الحديث، وستبقى بعد زوال كل الأديان والفلسفات" (من كتاب [مفتاح الحكمة الإلهية] ص. ٧).

الحكمة الإلهية وجوهر الأديان السماوية

تتفق الحكمة الإلهية في الجوهر مع المبادئ الأساسية للأديان السماوية. فهي تؤكد أولا على وجود الواحد المطلق، وانه الوحيد المستحق للتقديس؛ وعلى هذا الأساس تبني بقية مبادئها. فمن الذات الإلهية المطلقة انبثق العقل القدسي الأول؛ ومنه فاضت المادة الأصلية والروح. وقد تطورت الأكوان والمجرات والنجوم من المادة الأصلية، وانبثقت من الروح الملائكة المسؤولة عن تدبير هذه الأكوان، ثم توالى تكوين بقية الموجودات والكائنات والبشر. وقد اقتضت المشيئة إرسال الأنبياء والرسل والحكماء والمرشدين، من أجل تعليم البشر النواميس والشرائع التي تنظم حياتهم، وإرشادهم إلى حقائق الحياة والتطور والموت والبعث، وكشف أسرار المخطط الإلهي وأدوارهم فيه. إن في تعاليم الحكمة الإلهية بيان شامل وتفسير كامل لكل ألغاز الحياة والوجود واللاهوت.

جمعية الحكمة الإلهية (الجمعيّة الثيوصوفية)

تأسست جمعية الحكمة الإلهية في مدينة نيويورك، في السابع عشر من تشرين الثاني عام ١٨٧٥، من قِبل السيدة بلافاتسكي، والعقيد اولكت، وآخرين. وكان من ضمن أوائل الأعضاء فيها؛ الطبيب المعروف د. أليكساندر وايلدر، والقائد العسكري الذي ذاع صيته في معركة جتسبيرغ - اكبر معارك الحرب الأهلية الأمريكية - اللواء آبنر دبلدي، والمخترع الشهير توماس أديسون. وتؤكد الوثيقة الأصلية للجمعية على أن أهدافها "جمع ونشر المعارف الخاصة بالنواميس التي تُنظّم الكون". وبمرور الزمن توسعت أهدافها لتشمل:

١- نشر حقائق النواميس الأصلية المُنظمة للكون بين البشر.

٢- نشر الوعي بالوحدة الجوهرية لكل الموجودات والكائنات والبشر.

٣- نشر مبدأ ألأخوَّة بين البشر، دون تمييز على أساس العِرقْ والعقيدة والقومية والطبقة واللون.

٤- دراسة الأديان والعلوم والفلسفات القديمة والحديثة.

٥- البحث في القدرات العرفانية عند الإنسان.

٦- مساعدة أتباع الديانات كافة على اكتشاف المُثل السامية لدياناتهم وتطبيقها في حياتهم اليومية.

٧- احترام جميع الأديان والمذاهب، وعدم تشجيع أتباعها على التخلي عن معتقداتهم.

٨- نشر مبادئ وحقائق ودراسات الحكمة الإلهية.

الشرط الوحيد للانتساب الى

جمعية الحكمة الإلهيــــــة

لقد صرحت آني بيسنت (١٨٤٨ – ١٩٣٣)، رئيسة جمعية الحكمة الإلهية من ١٩٠٧ الى ١٩٣٣، في كتابها { الحكومة الخفية للعالم } حول هذا الموضوع قائلة:

'' من المهم أن نتذكر بأننا في الجمعية الثيوصوفية (جمعية الحكمة الإلهية) لا نتمتع بأية سلطة في مسألة حرية الرأي. فكل عضو حر في استنباط نظريته الخاصة عن الحياة، واختيار نمط تفكيره، وليس هناك من يتمتع بادنى سلطة تتيح له أن يفرض على اي عضو اختياراته او طريقة تفكيره. هناك شرط واحد يلتزم به الأعضاء في جمعية الحكمة الإلهية، ألا وهو ألاقرار بالأخوة العالمية. وفيما عدا ذلك كل عضو هو حر تماما. يستطيع الانتساب الى أي دين، أو يمكنه عدم الانتساب الى أي دين. واذا ما آمن بديانة معينة، فلن يطلب منه بتاتا الارتداد عنها، او تغييرها، ولكن سيطلب منه فحسب الإيفاء بتعاليمها المتعلقة بالحياة الروحية، مؤمنا بوحدة الجميع، والعيش بانسجام مع الناس الذين هم من ملته والناس من الملل الأخرى. ''

آني بيسنت



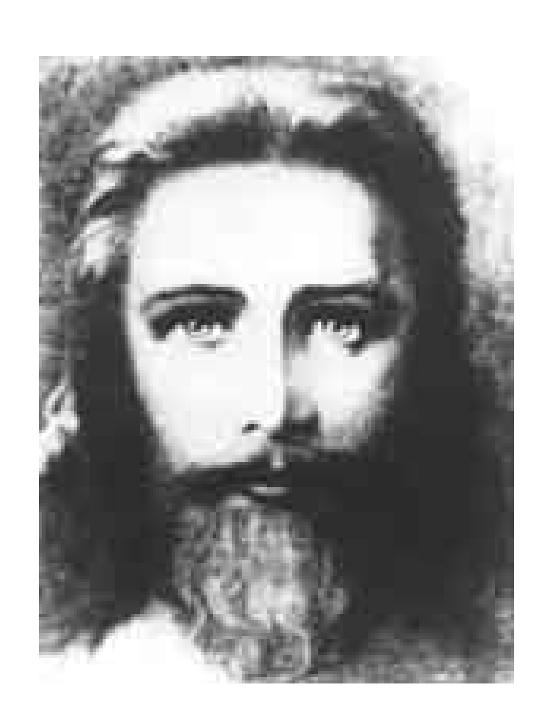
وتُشكّل جمعيات الحكمة الإلهية المعروفة والمجهولة، المتواجدة في العالم حاليا، جانبا من حركة روحية وفكرية ظلت نشيطة في كل العصور. وقد برزت هذه الحركة مع النشأة الأولى للإنسانية الواعية، لكنها توارت عن الأنظار خلال فترات القحط الروحي في بعض العصور؛ بيد أن نشاطها ظلَّ متواصلا، رغم انه لم يكن معروفا ولا مُعترفا به. وللجمعية أهداف ومقاصد إيمانية وفلسفية وعلمية، إضافة إلى إنها إنسانية وإحسانية بشكل متميز: فهي تبغي أن تعيد للإنسانية تراثها القديم من الحكمة - معرفة حقائق الحياة - وان تغرس في القلوب والعقول البشرية القيمة العظيمة والجمال الأصيل لنظامها الأخلاقي الرفيع. والجمعية ليست سياسية ولا طائفية؛ فهي تضم أعضاء ينتمون لأعراق مختلفة؛ وقد يكونون، أولا يكونون، أعضاء في جماعات دينية أو فلسفية أخرى. وليس لها مذهب أو عقيدة بالمعنى المعاصر للكلمة، وأعضائها في الأساس باحثون عن الحقيقة ومُحبّون لها.



الحكيم موريا

وقد أعلنت بلافاتسكي منذ انطلاق نشاطها العلني تقريبا بأنه تم تكليفها من قِبل الحكيمين موريا وكوثومي بتشكيل نواة للإخوة العالمية للجنس البشري، وكان تأسيس الجمعية أول ثمرة لجهودها في سبيل تحقيق هذا الهدف. ويُعدُّ نشر تعاليم الحكمة الإلهية الغاية الأساسية للجمعية. فقد كتب الحكيم كوثومي للسيد ألفريد سينت (١٨٤٠-١٩٢١) قائلا: "إن الهدف الرئيس للجمعية ليس إرضاء التطلعات الفردية بل خدمة أقراننا من البشر" (رسائل الحكماء ٧- ٨)؛ وكتب الحكيم موريا: "لا بد أن تشرق شمس

الحكمة الإلهية على الجميع وليس على فئة واحدة. إن نشاطات هذه الحركة تفوق ما تناهى لعلمكم، فعمل الجمعية مرتبط بتدابير باطنية مماثلة تجري في كل أنحاء العالم ".



الحكيم كوثومي

لقد اكتسح الإلحاد المادي أوروبة والعالم في القرن التاسع عشر. وساهم في انتشاره تخلف الفكر الديني وانحطاط كهنته ومؤسساته؛ حيث تجلى ذلك في مُعاداته للتطور العلمي والإنساني ودعمه للأنظمة الاستبدادية، وتحالفه معها، ومحاربة كل حركة إصلاحية أو ثورية، واضطهاد كل تيار فكري عقلاني مستنير يدعو إلى احترام حقوق الإنسان وصيانة كرامته من خلال انتشاله من الجهل والتخلف، وتحريره من الاستعباد والاستغلال. ونتيجة لمساهمة التطور العلمي والتقني في تحسين مستوى معيشة البشر من النواحي الصحية والاقتصادية، وزيادة وسائل الراحة والترفيه، فقد اصطف الناس بالتدريج مع العلم ضد

الدين في هذا الصراع. ودفع التطلُّع للحرية والعدالة بالبشرية إلى مُناصرة الحركات الإصلاحية والتوجهات الثورية ضد المؤسسات الكهنوتية والأنظمة السياسية ذات الصبغة العقائدية المُتزمِّتة والطبيعة الاستبدادية والمنهج الاستغلالي. كل ذلك أدى في نهاية المطاف إلى فراق بين المجتمع والدين، وميل متزايد نحو الإلحاد. لذا انتشرت في العالم كله الفكرة الخاطئة بان الدين، ومعه الإيمان، هو ركن التخلف والانحطاط ودعامة رئيسية للاستبداد والاستغلال.

وهكذا ظهرت الحاجة لتجديد الإيمان على أسس عقلانية علمية وإنسانية، والعودة إلى منبع الدين والفلسفة والعلم - إلى الحكمة الإلهية. فكانت الجمعية مركزاً لإحياء ونشر روح الإيمان العقلاني والعلمي والروحي. لذا تحالفت ضدها المؤسسات الدينية الغربية، والجمعيات التبشيرية في الهند، وبعض أدعياء العلم من ذوي الأفاق العقلية الضيقة، بالإضافة إلى المنتفعين من ظاهرة استحضار الأرواح والطارئين عليها. تحالفوا جميعا وبادروا إلى شنَّ حرب ضروس قوامها التشنيع والدسائس على الجمعية وعلى مؤسسيها، وبالذات السيدة بلافاتسكي.

مُؤسسي جمعية الحكمة الإلهية

هيلينا بتروفنا بلافاتسكي (١٨٣١-١٨٩١)

وُلدت مبعوثة الحكمة الإلهية في مقاطعة ايكاترينسلوف (وتسمى الآن دنايبرو بتروفسك) في جنوب روسيا؛ وهي حاليا ثالث اكبر مدينة في أوكرانيا. كان والدها بيتر فون هاهن عقيدا في الجيش الروسي. ويصل نسبها العريق من جهة والدتها إلى سلالة من النبلاء والأمراء الروس؛ ومن جهة والدها إلى سلالة من النبلاء الألمان.

كانت والدتها هيلينا اندريفنا (١٨١٤- ١٨٤٢) روائية شهيرة في روسيا، حيث نشرت أول رواية لها في سن الثالثة والعشرين بالاسم المستعار زينايدا آرفا. وقد طُبعت أعمالها الكاملة ضمن أربعة مجلدات في بطرسبرغ عام ١٨٤٣، وأعيد طبعها عام ١٩٠٥. وكان الناقد الروسي المعروف بيلينسكي قد امتدح موهبتها قائلاً: إنها تمثل بالنسبة لروسيا ما تمثله الروائية جورج صاند لفرنسا. وقد اعتبرت رواياتها في وقتها منجزا بارزا في الأدب الروسي؛ كما تم وصفها بأنها النظير النسائي للكاتب الكبير ليرمنتوف.



السيدة بلافاتسكي

وكانت جدتها لامها، الأميرة هيلينا بافلوفنا دولكوركي، باحثة في العلوم الطبيعية وعلم الآثار وعلم النبات، وكانت تجيد خمس لغات. كما كان جدها لامها، ديفادييف، الحاكم المدني لمقاطعة ساراتوف، في حين كان خالها، اللواء روستسلاف ديفادييف، كاتبا في الشؤون العسكرية، وشخصية عسكرية بارزة على مستوى أوروبة. بالإضافة إلى أن شقيقتها فيرا، التي تصغرها بأربع سنوات، قد أصبحت كاتبة معروفة كذلك. كما أصبح ابن خالتها كاترين، الكونت سيرجي يوليفتش ديوايت (١٨٤٩- ١٩١٥)، رئيسا للوزراء في روسيا في عام ١٩٠٥. فلم تكن السيدة بلافاتسكي من نسب عريق فحسب، بل من عائلة مرموقة على كل مستويات الإبداع. ومن طرف والدها، فقد كان احد أعمامها مديرا للبريد في العاصمة بطرسبرغ، ويحمل لقب كونت؛ كما كان عمها الآخر، جوستافو هاهن، رئيسا للمحكمة الجنائية في مدينة جروندو.

تمتعت السيدة بلافاتسكي منذ طفولتها بقدرات روحية فريدة. كما إنها أبدت اهتماما فائقا بعرفانية القرون الوسطى من خلال مكتبة جدها العامرة. تزوجت في سن السابعة عشر، عام ١٨٤٨، من نائب حاكم مدينة ايريفان، نيكيفور بلافاتسكي، الذي كان يكبرها في السن، ومنه اكتسبت اسمها الشهير.

تميزت حياتها بكثرة الأسفار، لذا كانت تجيد العديد من اللغات. فقد كانت تتقن الفرنسية والانكليزية والايطالية؛ وتفهم بسهولة الألمانية والهنغارية وقليل من التركية؛ بالإضافة لفهمها وتكلُّمها العربية باللهجة المصرية. وقد زارت منذ ١٨٤٩ الكثير من بلاد العالم. وفي عام ١٨٦٨ سافرت إلى التبت استنادا لنصيحة معلمها الروحي، حيث قضت ثلاث سنوات من التدريب العرفاني.

أسست مع العقيد اولكت في عام ١٨٧٥ جمعية الحكمة الإلهية في الولايات المتحدة. وقد انتقل مقر الجمعية إلى الهند في عام ١٨٧٨، حيث استقر في مدينة اديار قرب مدراس، وبقي هناك حتى الوقت الحاضر.

ألّفت بلافاتسكي ثلاثة كتب رئيسية: ١- العقيدة السرية ٢- إيزيس مكشوف عنها النقاب ٣- مفتاح الحكمة الإلهية. كما كتبت ما يقرب من ألف مقالة. وكانت بالإضافة إلى موهبتها الأدبية عازفة بيانو من طراز رفيع؛ حيث أصبحت من أعضاء الجمعية الموسيقية اللندنية. وقد توفيت في لندن عام ١٨٩١.

ومن الجدير بالذكر أن العلامة اينشتاين كان يضع على مكتبه بشكل دائم نسخة من كتاب (العقيدة السرية) للسيدة بلافاتسكي، وكان يرجع إليه باستمرار. كما أن غاندي كان من محبي الحكمة الإلهية؛ حيث تعرف على بلافاتسكي في لندن عام ١٨٩٠، واطلع على كتابها (مفتاح الحكمة الإلهية). وقد ظلَّ على صلة وثيقة بآني بيسنت، رئيسة جمعية الحكمة الإلهية في الهند من عام ١٩٠٧ إلى ١٩٣٣؛ وكانت رئيسة للمؤتمر الوطني الهندي لفترة من الزمن. كذلك توطدت علاقته مع آلن اوكتافيان هيوم، احد أعضاء جمعية الحكمة الإلهية؛ ومن مؤسسي المؤتمر الوطني الهندي. كما كان مُستشار جمعية الحكمة الإلهية في لندن البروفيسور الانكليزي وليم كروكس، العالم الفيزيائي الشهير، الذي اكتشف المادة المُتأيِّنة، وهو الاكتشاف الذي قاد، بفضل جهوده وجهود علماء آخرين، إلى النظريات الذرية الحديثة وعلم الفيزياء المعاصرة.

وبعدما ذاع صيتها، وانتشرت فروع الجمعية في كل انحاء الهند وسيلان، وكذلك في الولايات المتحدة وبريطانيا واوروبة، وازداد تأثيرها وكثر اعضائها؛ انهالت عليها الإتهامات وحملات التشهير من اعدائها. وكانت ابرز تلك التهم ما وجهته لها جمعية الأبحاث الروحانية عن طريق موفدها الى الهند د.هدسن، والذي صدر تقريره في نهاية عام ١٨٨٥. وقد ادعى هذا التقرير بان كل القدرات الخارقة التي نُسبت الى السيدة كانت مزيفة، وانه لا وجود للحكماء. وكان الشاهد الوحيد الذي اعتمد عليه التقرير هو السيدة كولومب، التي كانت تعمل مدبرة منزل للسيدة ولمقر الجمعية. إلا ان الجمعية عادت واقرت في عام ١٩٨٥ بان تقريرها الذي صدر قبل مائة عام بحق السيدة بلافاتسكي لم يكن دقيقا، بل كان مجحفا بحقها.

هنري ستيل اولكت

درس اولكت (١٨٣٢-١٩٠٧) في كلية نيويورك، ومن ثمَّ في جامعة كولومبيا. وقد عمل في الصحافة ابتداءً من عام ١٨٥٨. خدم في الجيش الأمريكي الشمالي أثناء الحرب الأهلية الأمريكية، وتمت ترقيته حتى وصل إلى رتبة عقيد. كان عضوا في اللجنة التي حققت في حادثة اغتيال الرئيس الأمريكي ابراهام لنكولن (مُحرر العبيد). وبعد انتهاء الحرب الأهلية عام ١٨٦٥، امتهن المحاماة وأصبح متخصصا في قضايا التأمين، كما واصل نشاطاته الصحفية.

وبينما كان يكتب سلسلة مقالات عن جلسات تحضير الأرواح للأخوين ادي، التقى في عام ١٨٧٤ بالسيدة بلافاتسكي، واشترك معها في تأسيس جمعية الحكمة الإلهية عام ١٨٧٥؛ وقد ترأس الجمعية حتى وفاته.

هنري اولكت



تطور الجمعية الثيوصوفية من ١٨٧٥ وحتى ١٨٩٠

في آب من عام ١٨٩٠، قبل وفاتها بسنة تقريبا، وبعد خمسة عشر عاما من إنشاء الجمعية الثيوصوفية، نشرت السيدة بلافاتسكي مقالة بعنوان (التطورات الأخيرة في الثيوصوفية) في المجلة الأمريكية نورث أمريكن ريفيو. وقد وصفت فيها الإنجازات المتحققة في الحركة الثيوصوفية حتى ذلك الحين قائلة:

" إن الحركة الثيوصوفية كانت ضرورية لهذا العصر، وقد انتشرت بفعل قوة الزخم المتأصلة فيها، وهي لا تدين بأي فضل للأساليب الدينية في التبشير. فمنذ انطلاقها لم تمتلك الحركة المال، ولم تحصل على الهبات، ولا حظيت بالدعم الحكومي أو الاجتماعي. لقد كانت منسجمة مع التطلعات الفطرية للإنسانية، وتؤمن بمثل أعلى للكمال، الأمر الذي تصادم مع المصالح السطحية الراسخة للمجتمع، مما دفعه لشن الحرب عليها....

لقد ظلت الإنسانية اليتيمة لسنوات طويلة في أمسِّ الحاجة الى الإرشاد والنور. فوسط العجائب المتزايدة للتقدم المادي المحض، والعلم الذي يغذي العقل، تاركا الروح تتضور جوعا، تطلعت الإنسانية الى فلسفة روحية .... فكانت الثيوصوفية. "

بعد ذلك كشفت السيدة بلافاتسكي عن ازدياد فروع الجمعية الثيوصوفية وازدهارها رغم المؤامرة الخطيرة التي دبرتها ضدها الجمعيات التبشيرية في الهند مدعومة من المؤسسات الدينية البريطانية وبالاتفاق مع جمعية الأبحاث الروحانية، التي كانت حديثة النشأة في ذلك الوقت:

‘‘ إن موضوعي الحالي هو التطورات الأخيرة في حركتنا، وأفضل ما يمكن الاستعانة به لتوضيح الوضع الحالي هو الإحصائيات. ولتجنب الإسهاب، سنبدأ بالعام ١٨٨٤، عندما شنت جمعية الأبحاث الروحانية اللندنية حملتها ضدنا. ففي سنة ١٨٨٥، وكرد على المفترين علينا، تم إنشاء سبعة عشر فرعا جديدا، وفي ١٨٨٦ خمسة عشر، وفي ١٨٨٧ اثنين وعشرين، وفي ١٨٨٨ إحدى وعشرين، وسبعة عشر حتى الأول من آب ١٨٨٩... وفي حزيران ١٨٩٠ وصل عدد الفروع الى مائتين. ’’

حكيم رشيد

٢٠١٣

Rakeem33@yahoo.com